Al-Zaytouna Centre
for Studies & Consultations

مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات

Conference on
The Islamists of the Arab World
& the Palestinian Issue
in Light of the Arab Uprisings

مؤتمر
الإسلاميون في العالم العربي
والقضية الفلسطينية
في ضوء التغيرات والثورات العربية

ورقة عمل

انعكاسات صعود الإسلاميين في العالم العربي على الوضع الداخلي الفلسطيني

أ. عبد الرحمن فرحانة

Crowne Plaza - Beirut - Lebanon
28 - 29 November 2012

فندق كراون بلازا – بيروت – لبنان
28-29 تشرين الثاني/ نوفمبر 2012

انعكاسات صعود الإسلاميين في العالم العربي على الوضع الداخلي الفلسطيني

أ. عبد الرحمن فرحانة*

سياق تاريخي لدور التيار الإسلامي في الصراع:

أخذ العمل الوطني الإسلامي في مقارعة الاحتلالين البريطاني والصهيوني في فلسطين مساحة واسعة من جهد الحركة الوطنية الفلسطينية، وظل ممتداً بأنساق مختلفة، وبمستويات متفاوتة منذ بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة 1917 وحتى يومنا هذا. وكذلك كان الحال خارج فلسطين.

1. اللون الإسلامي في الثورة الفلسطينية من 1920–1929:

فثورة النبي موسى سنة 1920 اشتعلت على إثر قيام أحد اليهود بتلويث أحد الأعلام الإسلامية التي كانت تحملها الوفود الفلسطينية من القرى والمدن الفلسطينية المشاركة في الموسم الديني المسمى موسم النبي موسى في القدس، إذ هاج الناس على إثر هذا السلوك اليهودي المعادي فضربوا اليهودي المعتدي، وهتفت الجماهير الفلسطينية المحتشدة: "دين محمد قام بالسيف"، تعبيراً عن الحمية الدينية والثأر الوطني.

أما ثورة سنة 1921 في يافا فقد انطلقت بسبب تعديات المهاجرين اليهود في تل أبيب على المساجد في يافا، وقيامهم بشتم النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاولاتهم توزيع نشرات شيوعية تدعو الفلسطينيين للفكر البلشفي (الشيوعي)، وكان ذلك مستهجناً آنذاك لعدم معرفة الناس بهذا الفكر الجديد.

وفي 15 آب/ أغسطس 1929 احتفل اليهود بعيد الصيام وخراب الهيكل، وساروا في شوارع القدس بالآلاف هاتفين "الحائط حائطنا.. الويل لمن يدنس أماكننا المقدسة". وقام خطيب الاحتفال بشتم النبي صلى الله عليه وسلم، والإسلام، والتطاول على الأمة الإسلامية؛ مما استفز مشاعر المسلمين، وكان ذلك سبباً في اشتعال ما سمي بثورة البراق سنة 1929.

2. الشيخ عز الدين القسام والثورة الفلسطينية الكبرى:

كان الشهيد عزّ الدين القسام ملهم الثورة الفلسطينية الكبرى شيخاً ثائراً من خريجي الأزهر؛ حيث نال الشهادة الأهلية منه، وكان مركزه الأول مسجد الاستقلال في حيفا. وكذلك خلفاؤه من

---

* أ. عبد الرحمن فرحانة: باحث متخصص في الشؤون الفلسطينية.

بعده قادة الثورة الفلسطينية الكبرى من أمثال الشيخ فرحان السعدي، الذي أعدمه الإنجليز وهو صائم وقد بلغ سنه الثمانين، والقائد القسامي عبد الرحيم الحاج محمد، وغيرهم من الشيوخ، والعلماء، الذين شاركوا في الثورة القسامية، مثل الشيخ صبري عابدين، والشيخ عبد القادر اليوسف عبد الهادي، وسواهم قائمة طويلة ذكرهم أكرم زعيتر في كتابه الحركة الوطنية الفلسطينية.

3. دور الإخوان المسلمون في حرب الـ 48:

شارك الإخوان المسلمون الفلسطينيون في حرب سنة 48 في مناطق الشمال، والوسط الفلسطيني تحت قيادات عربية، إذ لم يؤسسوا قيادة مستقلة بهم.

كما شارك الإخوان المسلمون بمصر في الحرب، وكان من قادتهم الكبار أحمد عبد العزيز الذي اشترك في القتال مع القائد الأردني عبد الله التل ضدّ الصهاينة في القدس. بل إن الشيخ حسن البنا أبرق إلى مجلس الجامعة العربية باستعداده أن يبعث كدفعة أولى إلى فلسطين عشرة آلاف مجاهد، وقدم لحكومة النقراشي طلباً للسماح لفوج من هؤلاء لاجتياز الحدود إلا أن حكومة النقراشي رفضت ذلك.

أما الإخوان المسلمون في الأردن فقد جاهدوا بقيادة المراقب عبد اللطيف قورة، وشارك الإخوان السوريون بقيادة المراقب مصطفى السباعي، وكذلك الإخوان العراقيون جاهدوا في فلسطين بقيادة مراقبهم محمد محمود الصواف.

4. دور الإخوان في معسكرات الشيوخ في الأردن:

في الفترة بين 1968–1970 في ذروة العمل الفدائي الفلسطيني في الأردن اشترك من الأخوان حوالي 300 من المجاهدين، عملوا في سبع قواعد فدائية في الأردن وتحت قيادة حركة فتح. وبالرغم من قلة عددهم، وضعف عدتهم قدموا نماذج لعمليات مشرفة، من أشهرها الحزام الأخضر في آب/ أغسطس 1969.

ومن أبرز القيادات التي شاركت في هذه الفترة الشيخ أحمد نوفل، والشيخ عبد الله عزام، والشيخ ذيب أنيس.

5. دور حركتي حماس والجهاد الإسلامي:

والحركتان تمثلان التيار الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية، وهما على رأس من يتولى العمل المقاوم في الساحة الفلسطينية اليوم (2012). ولا يحتاجان للحديث عنهما، لأنهما يملآن المشهد الفلسطيني الحالي على صعيد المقاومة، والعمل السياسي.

السياق التاريخي يبرز أن الإسلاميين في فلسطين وحولها لم يكونوا غائبين عن ساحة الصراع، ولكن وتيرة حضورهم كانت متفاوتة، بسبب المعطيات الدولية والإقليمية. وصعودهم المرتقب على إثر متغيرات الربيع العربي سيؤثر بشكل كبير على صورة المنطقة، وعلى شكل الصراع ومخرجاته.

الآفاق المستقبلية لصعود الإسلاميين:

1. دور الإسلاميين في الصراع وعلاقة ذلك بصعودهم في الربيع العربي:

خلال العقود الماضية ملأ الإسلاميون فضاء المنطقة بحراك عريض شمل مقاومة الاحتلال، وقد تسيدوا ساحة المقاومة في معظم، إن لم يكن كلّ ساحات المقاومة في المنطقة، وعلى اختلاف ألوانهم السياسية والأيديولوجية. وقد عمل موقفهم من قضية فلسطين على تصعيد مكانتهم بين الجماهير العربية والإسلامية.

في المقابل احتلوا مساحة واسعة في مقارعة الاستبداد العربي الداخلي، بل إن أنظمة الاستبداد عدّتهم العدو الأول، وتحالفت مع الغرب لتحييدهم ومنعهم من الاقتراب من القرار السياسي العربي، بالرغم من أن مشروعهم الثقافي الإسلامي أزاح كافة الأجندات الثقافية الأخرى. وظلّ طغاة المنطقة يرددون للغرب إما نحن أو الخطر الإسلامي الداهم؛ بما سمي بالفزاعة الإسلامية.

عملت نظم الاستبداد بالتحالف مع الغرب على تفكيك الطيف الإسلامي إلى معتدلين ومتطرفين، وقامت باحتواء الأولين في فضاء سياسي امتلكت النظم قواعد لعبته، مما جعل من مشاركة الإسلاميين في الحياة السياسية مجرد ديكور سياسي لتنفيس الاحتقان، ولتحقيق شرعية نسبية لهذه النظم. أما الآخرون فقد حوربوا وتمّت مطاردتهم تحت شعار محاربة الإرهاب.

بالرغم من ذلك توغل الإسلاميون في الشارع، وحصلوا على شرعية شعبية واسعة لأنهم تسيدوا ساحات المقاومة، وقاموا بدور أساسي في محاربة الاستبداد المحلي، بالإضافة إلى أن مشروعهم الثقافي اتكأ في جوهره على هوية الأمة.

العوامل الثلاثة الآنفة الذكر جعلتهم الأقرب إلى الشعوب كخيار خلاصي، وعملياً منحتهم الثقة في الانتخابات التي تخللها الربيع العربي، لتفتح أمامهم فرصة واسعة لتجريب مشروعهم. لكن الفرصة ليست مفتوحة، والتحديات المحيطة بها كبيرة وخطيرة كذلك.

2. الإسلاميون في الحراك العربي ومستقبلهم في التأثير بمجريات الصراع:

المراقب لمشهد الحراك العربي يصاب بالارتباك بسبب تزاحم قوى الثورة وتناقضها، ومحاولات قوى الشدّ العكسي من الأنظمة البائدة لتعطيل مسار التحول العربي، مضافاً إلى ذلك تدخلات العامل الخارجي الذي يعمل على إجهاض مخرجات الربيع العربي الإيجابية؛ حفاظاً على مصالحه في المنطقة.

في ظلّ هذه المعطيات فإن الفترة الانتقالية القائمة تزداد تعقيداً، وقد تمتد لسنوات ربما تصل من 3–5 سنوات. كما أن مخرجات التغيير الجارية غير مؤكدة النتائج، ولا أحد يمكنه أن يجزم بطبيعة الأنظمة الجديدة، ولا حتى بشكل خارطة الإقليم اللاحقة. وإن كانت المؤشرات تنبئ عن دور كبير للإسلاميين في المرحلة القادمة. وفوزهم في الانتخابات التي جرت مؤخراً في أكثر من قطر عربي يؤكد هذا الاستخلاص.

وبشيء من المخاطرة يمكن توقع مستقبل الإسلاميين في قلب الربيع العربي بحسب الآتي:

- أن يتمكن الإسلاميون من حسم الجولة لصالحهم، ويفضي ذلك لتشكيل أنظمة سياسية بألوان إسلامية معتدلة.
- أن تطول الفترة الانتقالية، وتتعمق حالة الفوضى، مما قد يؤدي إلى تمكن قوى الثورة المضادة من إعادة تنظيم أنفسهم، وبالتالي نجاحهم في إعادة إنتاج الأنظمة القديمة بموديلات جديدة.
- تعادل قوى الصراع داخل الربيع العربي، وتمكنها من التوافق الوطني، مما يفضي لإزاحة قوى الشدّ العكسي، وتحييد تأثير العامل الخارجي، وفي المحصلة تمكنهم سوياً من إنتاج أنظمة سياسية تجمع بين طموحات الإسلاميين، وغيرهم من القوى الأخرى.

المعطيات الراهنة بتعقيداتها تشير إلى أن السيناريو الأول لم يحن أوانه بعد. أما الثاني ففرصه تتآكل تدريجياً، لكنها غير منعدمة تماماً في بعض الحالات. وربما تكون الفرصة سانحة أكثر للسيناريو الأخير. وبالرغم من ذلك سيكون للإسلاميين تأثير كبير حتى وفق السيناريو

الثالث، نظراً لقوة تنظيمهم، وسعة شعبيتهم بين الجماهير العربية. ومن المتوقع أن يكون لهم دور كبير في الصراع مع الكيان الصهيوني، ومن ضمنه تأثيرهم على الداخل الفلسطيني.

3. متطلبات نجاح الإسلاميين للتأثير في مسار الصراع مع الكيان الصهيوني:

حتى يتمكن الإسلاميون من امتلاك دور مؤثر في الصراع مع الكيان الصهيوني يحتاجون لمتطلبات نجاح لتجربتهم أولاً، ومن ثمّ يخلصون لقيادة المنطقة في مسار جديد للصراع، أو التعديل فيه بحسب رؤيتهم الخاصة. ومن متطلبات نجاحهم:

- تبلور نموذج حكم راشد، وتمكنهم من النجاح في بناء نظم سياسية تعددية، تجمع بين محوري التنمية والديموقراطية.
- القدرة على بناء خطاب قومي جامع، يستطيعون من خلاله تكتيل قوى الأمة لمواجهة خطر المشروع الصهيوني.
- نجاحهم في إعادة هيكلة المنطقة جيوسياسياً مع القوى الأخرى بهدف التأثير على حجم الدور الإسرائيلي، بإحياء الدور المصري، وغيرها من دول المنطقة الوازنة، بهدف بناء إقليم مستقل.
- النجاح في مزج البعدين الإسلامي والقومي في خطابهم السياسي والإعلامي، والانتقال من منطق الجماعات والحركات إلى منطق الأمة وفضاء العلاقات الدولية والإقليمية.
- بناء الشراكة مع القوى الأخرى في المنطقة، وعدم الاستفراد بالسلطة السياسية. والعمل على تفكيك الاحتقان الراهن الذي يفضي إلى إيقاظ الروح الفئوية والإثنية.
- القدرة على تحييد العامل الخارجي الذي يلعب لعبة مزدوجة بشقيها الترويض أو الإفشال، وصياغة علاقة ندّية في العلاقات الدولية متحررة من أي هيمنة أو تبعية.
- بلورة سياسة خارجية قائمة على رؤية واضحة، وتوفير موارد اقتصادية كقاعدة صلبة لهذه السياسة، وتعميق التنسيق أثناء التحركات السياسية الخارجية من قبل النظم الوليدة.
- فتح حوار مع اللاعبين الكبار سوى الدول الغربية كالصين، وروسيا، ودول البريكس لتنويع الخيارات، والبدائل الاستراتيجية كأداة لتفكيك الهيمنة الغربية على المنطقة.

4. الإسلاميون والعلاقة مع الكيان الصهيوني في الوقت الراهن:

لا شكّ أن دور الإسلاميين الحالي يتحرك في فضاء المرحلة الانتقالية بأثقالها وتعقيداتها، وبالتالي فهم غير قادرين على فتح معارك خارجية في الوقت الراهن ريثما ينتهون من ترتيب

البيت الداخلي. وطبيعة هذه المرحلة تفرض موازنات دقيقة في التحركات السياسة بهدف المحافظة على قيم مشروعهم الثقافي وشعبيتهم في الشارع، وفي الوقت ذاته تحقيق المصالح السياسية أثناء احتكاكهم في الفضاء الدولي والإقليمي، بل وفي تحركهم الداخلي في دولهم.

وبشأن العلاقة الراهنة مع الكيان الصهيوني والغرب فإن الإسلاميين في الحكم الآن بحاجة إلى:

- مواءمة دقيقة بين أجندة الإصلاح الداخلي، وتحديات المواجهة مع العدو الصهيوني.
- وهم بحاجة إلى بلورة رؤية متماسكة للتعامل مع الغرب من موقع الندّية بلا هيمنة، ولا تبعية، وتحديد موقع "إسرائيل" في العلاقة الثنائية.
- عدم الإفراط في تطمين الغرب، والكيان الصهيوني بشأن اتفاقيات السلام، لأن من شأن ذلك أن يهز الثقة الشعبية بهم، ويضعف من مصداقية خطابهم ومشروعهم.
- بناء استراتيجية مستقرة بشأن التعامل مع القضية الفلسطينية في المرحلة الانتقالية، وبالتنسيق مع الطرف الفلسطيني.
- عدم الخضوع للضغط بدفع أثمان سياسية من ملف القضية الفلسطينية للغرب مقابل تحييد العامل الخارجي. بمعنى مقاومة ثنائية الترويض والإفشال التي يواجه بها الغرب تجربة الإسلاميين في الحكم.
- صياغة رؤية واضحة تجاه تسوية الصراع، وبلورة سياسة ثابتة بشأن هذا الموضوع.
- التوافق على موقف موحد من المقاومة، وبناء استراتيجية منسقة لدعم برنامج المقاومة في فلسطين.

الآثار المترتبة لصعود الإسلاميين على الداخل الفلسطيني:

1. صورة المشهد الفلسطيني الراهن في فضاء الربيع العربي:

أ . **جمود المشهد الفلسطيني:** يبدو المشهد الفلسطيني جامداً وغير متفاعل مع الربيع العربي المحيط به، وقد أثار ذلك تساؤلات حادة خاصة أن الوضع الفلسطيني معني بالثورة أكثر باعتباره يرزح تحت الاحتلال، ومن السباقين إليها في جولات ماضية، عبر قرن من الزمن. ولتفسير هذه الظاهرة الغريبة نرصد عدة عوامل أهمها:

- عمدت السلطة الفلسطينية بالضفة الغربية في إيجاد نمط استهلاكي في الوسط الفلسطيني، وأغرقت المواطن في الديون البنكية لإشغاله، مما أسهم في ضمور الروح الوطنية. ناهيك عن

دور طابور من مؤسسات المجتمع المدني الممولة من الغرب التي تعزز ثقافة الاستهلاك، وتعمد إلى تعزيز الشعور أن الحالة الفلسطينية هي حالة دولة؛ وليست في طور التحرر الوطني.

- شاركت الإجراءات الأمنية الصارمة من قبل الأجهزة الأمنية لدى السلطة والاحتلال في لجم التحركات الشعبية، وقتل أي محاولات للتحرك في مهدها.
- نظام أوسلو أوجد معادلة مصلحية جمعت بين السلطة، ومصالح طبقة سياسية منتفعة بها، مما أفضى إلى تمسك طبقة واسعة منتفعة بدوام الواقع الراهن؛ محافظة على المصالح الخاصة.
- خشية الفلسطينيين من ألاّ تؤتي الانتفاضة الجديدة ثمارها كباقي الانتفاضات التي سبقتها.
- أسهم الانقسام الداخلي في تعطيل تكتل القوى الوطنية على أجندة وطنية واحدة، وشغل الناس عن الاحتلال بمناكفات داخلية.

ب . **انسداد أفق التسوية وتعطل المقاومة:** فأفق التسوية مغلق في ظلّ تعنت حكومة نتنياهو اليمينية المتطرفة، يرافقه عجز الإدارة الأمريكية عن الضغط على الحكومة الإسرائيلية. كما أن المقاومة مسحوقة في الضفة الغربية، ومجمدة في قطاع غزة، ويستثنى من ذلك حرب غزة الأخيرة. ولا فاعلية لأيّ من الخيارين حالياً، وإن كانت فرص المقاومة ما زالت قائمة، كما ظهر في مواجهه غزة الأخيرة، وما تحتاجه سوى تفعيلها عبر توافق وطني.

ج . **الانقسام الفلسطيني:** يعمل الانقسام على تعطيل الجهد الوطني ويمنع من تكتل القوى الوطنية تجاه استراتيجية موحدة، بل يعمل على استهلاك الجهد الوطني في المناكفات الداخلية، التي تزيد من حالة التشتت والانقسام الوطني.

د . **الفلسطينيون وحالة الانتظار:** في ظلّ انشغال أنظمة الربيع العربي في شؤونها الداخلية انزوى الملف الفلسطيني. كما أن الفلسطينيين وقواهم السياسية في حالة انتظار لما ستؤول إليه نتائج الربيع العربي في المنطقة.

هـ . **الفرصة الاستراتيجية للعدو:** توفر اللحظة الراهنة فرصة سانحة للعدو الصهيوني لقضم الجغرافيا وهضم الديموغرافيا الفلسطينية. فالقدس تهود بوتائر غير مسبوقة، والمسجد الأقصى قسمت حصص اليهود والعرب فيه زمانياً بحكم الأمر الواقع، وفي طريقها للتقسيم جغرافياً كحالة المسجد الإبراهيمي. أما الاستيطان فيلتهم الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية بشراهة بالغة. والكيان الصهيوني يفعل ذلك بالرغم من أزمته الكبرى التي يمثلها التحول الاستراتيجي الجاري الذي يجسده الربيع العربي.

2. أثر المرحلة الانتقالية للربيع العربي على الداخل الفلسطيني حالياً:

بالرغم من التقدير الذي يحظى بتأييد كثير من الباحثين، ويشير إلى أن مخرجات الربيع العربي على المديين المتوسط والبعيد ستكون إيجابية لصالح القضية الفلسطينية، إلا أن المرحلة الانتقالية الحالية في المدى القريب توجد إشكالات كثيرة، تؤثر سلباً على الداخل الفلسطيني منها:

- انشغال دول الربيع العربي بشؤونها الداخلية يشارك في تجميد الملف الفلسطيني، ويعطل خياري التسوية والمقاومة على حدّ سواء.
- حالة شبه الفوضى التي أعقبت الثورات العربية تخيف الفلسطينيين من مستقبل الحراك العربي، وتؤثر سلباً على خياراتهم تجاه تفجير انتفاضة ثالثة.
- أسهم الربيع العربي في تغيير ميزان القوة في الحركة الوطنية بين فتح وحماس؛ إذ أضعف فتح، لكنه لم يقو حماس بالشكل المؤثر، لأن قاعدتها القيادية تأثرت سلباً بما يجري في سورية، وهذه المعادلة أسهمت في جمود الوضع الفلسطيني كذلك.
- استغلت "إسرائيل" انشغال دول الربيع العربي بشؤونها الداخلية، فسارعت في تهويد القدس والمسجد الأقصى المبارك، وزادت من وتائر الاستيطان في الضفة الغربية.

لكن غياب الحل السياسي وتفاقم الوضع الاقتصادي سيؤديان في نهاية المطاف إلى تفجر الوضع الداخلي الفلسطيني. فعلى الصعيد الاقتصادي؛ وبحسب المكتب المركزي الفلسطيني للإحصاء فقد بلغت نسبة العاطلين عن العمل من الشباب هذه السنة (2012) حوالي 37%، وبين الخريجين ما يزيد عن 50%.

وتتحدث الأرقام عما يقارب ربع مليون شاب، يرزحون تحت خطّ الفقر في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وفي المحصلة من الاستحالة بقاء السلطة كمؤسسة أمنية بلا مشروع سياسي؛ أو منجزات اقتصادية، ناهيك عن بقاء الاحتلال الذي يشكل المعضلة الأصيلة.

3. أثر صعود الإسلاميين على الحركة الوطنية الفلسطينية وتجليات ذلك في الداخل الفلسطيني:

أ . أثر صعودهم على حركة فتح:

منذ أوسلو وحركة فتح متجهة في مسار التسوية كممارسة عملية دون أي مراجعات حقيقية لتصحيح المسيرة السياسية لاعتبارات تتعلق بمصالح ذاتية لطبقتها السياسية، ولارتهانها لقواعد

لعبة سياسية فرضها مشروع أوسلو ذاته. فالمفاوض الفلسطيني يخضع لإملاءات الصهاينة بلا أوراق قوة مؤثرة، ويتعرض للابتزاز السياسي من قبل "إسرائيل" والدول المانحة.

ونتيجة هذه المعادلة المرتهنة تعاني فتح حالياً من انسداد خيارها الأساسي وهو التسوية، إذ تحولت السلطة الفلسطينية ثمرة التسوية الأساسية إلى كيان بلا غطاء سياسي وبدون إنجاز اقتصادي، وغدت مجرد أداة للتنسيق الأمني مع "إسرائيل" فقط.

صعود الإسلاميين باعتبارهم الجهة المقابلة يزيد من الضغط على فتح وعلى مشروعها، ويخفض من ثقلها الحالي في ميزان القوى في الخارطة السياسية الفلسطينية، خاصة مع غياب سندها الإقليمي الممثل في النظام المصري السابق. فهي الآن بين فكي كماشة، صعود الإسلاميين بمشروعهم المنافس لمشروعها، مضافاً إلى ذلك زيادة تحول المجتمع الصهيوني نحو اليمين، وتآكل اليسار الصهيوني الذي من الممكن أن يخلق فرصة ما لتشغيل مسار التسوية.

إزاء ذلك، فحركة فتح أمام الخيارات التالية: إما أن تبقى على ذات الحال، وسيسرع ذلك في تآكلها وأفول دورها، وإما أن تقوم بمراجعة شاملة لمسارها السياسي، أو تتجه لحماس للتوافق على مشروع وطني موحد بقواسم مشتركة.

ب . أثر صعودهم على اليسار الفلسطيني:

لعب اليسار الفلسطيني دوراً بارزاً في العمل الوطني الفلسطيني طوال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، إلا أنه انحسر بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، بانهيار النظام الدولي القديم. ويعاني في الآونة الأخيرة من حالة ضعف مركبة تشمل التشرذم الحركي وتآكل الأيديولوجيا، وانزواء المشروع وضعف الدور. ويقف على رأس المؤثرات السلبية التي أضعفت دوره غياب السند الدولي التي كانت تمثله المنظومة الاشتراكية، وانكفاء الشعوب عن مشروع اليسار الثقافي لصالح المشروع الثقافي الإسلامي.

صعود الإسلاميين المنتظر سيسهم أكثر في حالة انحسار اليسار الفلسطيني. وفي ظلّ المعادلة القادمة لن يتمكن اليسار من البقاء إلا في صورة باهتة، وأضعف من وضعه الراهن.

وبشأن دور اليسار في المشهد الفلسطيني، وضمان مستقبله السياسي، يحتاج مشروعه لمراجعة جذرية، كما أن فصائله تحتاج للتلاقي على صورة من التوحد، والأهم من ذلك يتطلب من اليسار الالتقاء مع الإسلاميين على قواسم مشتركة لدعم قوة الحركة الوطنية الفلسطينية. ولعلّ الخطوة الأخيرة توفر لهم فرصة البقاء، ومتطلبات الدور للمرحلة الجديدة.

ج . أثر صعودهم على حركة حماس:

شكل الربيع العربي فرصة كبيرة لحركة حماس؛ إذ أخرجها من حالة الحصار السياسي الذي كان يخنقها. فغياب النظام المصري السابق وفوز الإسلاميين برئاسة مصر مثّل تحولاً استراتيجياً في علاقة حماس بمصر. وهذا التحول ترك أثراً بالغاً على مكانة حماس في الخارطة السياسية الفلسطينية، ومنحها أفقاً دبلوماسياً واسعاً في المنطقة، جسّد ذلك زيارات هنية للعواصم العربية، ولقاءات مشعل مع بعض زعماء المنطقة. وعلى رأس ذلك كله زيارة الشيخ حمد أمير قطر لغزة وما تعنيه من أبعاد سياسية.

الصورة الماثلة تبرز فشل نموذج الضفة وفيه السلطة تعاني من أزمتها السياسية والاقتصادية، وتؤشر إلى خروج نموذج غزة من الحصار نسبياً، وانفتاح الأفق العربي عليه. ولعل هذه الصورة أكبر تجسيد لتأثيرات صعود الإسلاميين على الداخل الفلسطيني.

في المقابل، ليست كلّ مخرجات الربيع العربي إيجابية لحماس، فالثورة في سورية هزت قاعدتها في دمشق، مما اضطرها للخروج إلى الدوحة مهاجرة إلى عاصمة عربية قريبة من المحور الآخر.

وأمام هذا التحول الاستراتيجي والهزة الإقليمية، وانشغال الإسلاميين بشؤونهم الداخلية في الفترة الانتقالية القائمة، فحماس بحاجة إلى مقاربة جديدة في علاقاتها بدول الإقليم. ومتطلبات المرحلة تقتضي منها أيضاً أن تتبنى استراتيجية جديدة لاستكمال مشروعها وفي قلبه المقاومة.

التحدي أمام حماس أنها غادرت جغرافيا ما كان يسمى بمحور الممانعة، وتتموضع حالياً في جغرافيا ما كان يدعى بمحور الاعتدال.

الخطوة الانتقالية ليست جغرافية فحسب، إذ لها تبعات سياسية واستراتيجية، وحماس الآن في مواجهة ضرورة تاريخية تفرض عليها اجتراح مقاربة واستراتيجية جديدتين في ظلّ المتغيرات القائمة، فهي أمام تحدٍ كبير مرحلياً، لكن خلفه أفقاً واعداً فيما لو نجحت تجربة الإسلاميين في الحكم بالمنطقة.

أما أثر صعودهم على حركة الجهاد الإسلامي فهو الأثر ذاته، نظراً لأن الحركتين من الفضاء الأيديولوجي نفسه.

4. أثر صعود الإسلاميين على عملية التسوية:

الموقف التقليدي للإسلاميين بشأن الصراع مع الكيان الصهيوني في فلسطين يؤكد أن الصراع هو صراع وجود لا صراع حدود، وبعدم شرعية الاعتراف بـ"إسرائيل"، لأن فلسطين أرض وقف إسلامي، لا يجوز لأحد التنازل عنها باعتبارها ملكاً لأجيال المسلمين المتعاقبة.

وقد كانت موضوعة التسوية مفردة أساسية على طاولة الحوار بين الغرب والإسلاميين، ومثلت أكبر العقبات في الحوار بين الطرفين ما قبل الربيع العربي. لكن الواقع تغير الآن وبالتالي تغيرت المواقف.

وحالياً من وصل من الإسلاميين للحكم في المرحلة الانتقالية الراهنة من الربيع العربي يقف في المنطقة الرمادية، ويقدم رسائل تطمين للغرب و"إسرائيل" أن الأنظمة الجديدة ستحترم الاتفاقات القائمة. والهدف بنظرهم هو تحييد العامل الخارجي الضاغط على تجربتهم، ولتقديرهم أنه ليس من الحكمة الانجراف لمواجهة مع الكيان الصهيوني، لأن جدول الأولويات يقدم الشأن الداخلي أولاً.

التقدير لديهم أن بناء النظام السياسي الجديد على قاعدة الديموقراطية والتنمية، وتوفير الموارد الاقتصادية هو الضمانة الأساسية لتبني سياسية خارجية مستقلة؛ لذلك نرى أن الإسلاميين في دول الربيع العربي يستهلكون جلّ جهدهم في تحقيق هذين الهدفين، كمقدمة أساسية لعملية النهوض اللازمة لمواجهة المشروع الصهيوني.

"إسرائيل" تقبل مؤقتاً بالموقف الجديد للإسلاميين وتدرك أنه خطوة تكتيكية فقط، وسبب قبولها يتأتى من إدراكها أن معطيات الأمر الواقع بوجود الإسلاميين كلاعبين جدد يفرض مثل هكذا معادلة، ولا خيار أمامها سوى التعاطي معها.

وفي الوقت ذاته تعمل على شيطنة الإسلاميين في الحديث مع الغرب لتحقيق هدفين: منع تولد علاقة مصلحة مستقرة بين الإسلاميين والغرب، وتعطيل توفر شرعية دولية للنظم الجديدة، وللضغط كذلك على الإسلاميين لتخفيض سقفهم تجاه الصراع كي يسترضوا الغرب. (الترويض أو الإفشال).

وهنالك صوت في الوسط الصهيوني يدعو للإسراع في خطوات التسوية للوصول إلى حلّ سياسي مع الفلسطينيين لمنع التأثيرات المستقبلية من قبل الإسلاميين على القضية الفلسطينية حينما تستقر أنظمتهم الجديدة.

والتقدير أن الإسلاميين في الحكم في المرحلة الانتقالية لن يواجهوا التسوية بشكل مباشر، لكنهم سيبقون في المنطقة الرمادية الحالية ريثما تستقر أنظمتهم. وهذا الموقف لن يكفي لدعم خيار التسوية وفريقه، كما أنه لا يشكل رافعة إسناد مؤثرة لدعم خيار المقاومة. مما سيسهم في المدى القريب باستمرار جمود الملف الفلسطيني ومعادلته الداخلية. لكن مخرجات حرب غزة الأخيرة قد توجد معطيات مغايرة تؤثر على المشهد السياسي الفلسطيني بشكل آخر.

في الأفق المتوسط والبعيد، سيكون تأثر صعود الإسلاميين كبيراً فيما لو نجحت تجربتهم، لأن القضية الفلسطينية سيتوفر لها ظهيراً حقيقياً، وستتلاشى مدرسة "فلسطنة الصراع"، لصالح عودة البعدين العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية.

5. أثر صعود الإسلاميين على المصالحة الفلسطينية وإنهاء الانقسام:

الإسلاميون شأنهم شأن بقية الأطياف السياسية الأخرى يؤيدون المصالحة الفلسطينية لتقوية الصف الفلسطيني في مواجهة الاحتلال.

وبشأن قدرتهم على التأثير في تحريك ملف المصالحة الفلسطينية في المرحلة الانتقالية فالمتوقع أن لا يكون لهم أثر فاعل على المصالحة. والسبب أنهم في نظمهم الوليدة غير قادرين على الضغط على طرفي المعادلة الفلسطينية، ناهيك عن عدم قدرتهم على التأثير على الموقف الأمريكي بشأنها.

لكن من الممكن أن تقوم القاهرة في المستقبل القريب بمحاولات بهذا الشأن بعد حرب غزة (تشرين الثاني/ نوفمبر 2012)، إتماماً لمحاولاتها السابقة، غير أن المحاولة لن تكون مضمونة النتائج.

6. أثر صعود الإسلاميين على المقاومة:

الإسلاميون داعمون أساسيون للمقاومة، وهي خيارهم الأول في مواجهة الكيان الصهيوني على اختلاف مشاربهم.

في المدى القريب يصعب أن يدعموا المقاومة بسقوف عالية، لأن ذلك سيفتح بوابة الصراع على مصراعيها، وهذا يحتاج إلى موارد عسكرية واقتصادية كبيرة، ونظمهم الحالية غير قادرة على تحمل مثل هذا العبء، كما أنها غير مستقرة سياسياً. مع ذلك فإن صعودهم الحالي يوفر للمقاومة غطاء سياسياً جيداً، فالكيان الصهيوني لا يمكن أن ينفرد بالمقاومة بدون تدخل سياسي

على أقل تقدير. ومن الملاحظ أن قواعد اللعبة بين المقاومة والكيان الإسرائيلي قد تغيرت في الآونة الأخيرة.

فقد عادت معادلة الرعب من جديد إذ وصلت صواريخ المقاومة مشارف تل أبيب. والكيان الآن بين موازنة حرجة تجاه المقاومة، فإما أن يدعها وسلوكها الحالي فتترسخ قواعد اللعبة الجديدة، وتنكسر هيبة الردع الصهيونية، وإما أن يغامر بالتصعيد وما يتبع ذلك من مخاوف تتعلق بإمكانية قيام مصر الجديدة بمواقف جريئة تجاه المعاهدة. ولعل المواجهة الحالية في غزة اختبار لكل الأطراف في هذا السياق.

في مرحلة لاحقة، من المنتظر من صعود الإسلاميين أن يؤثر باتجاه تفعيل المقاومة بسقوف أعلى. ويعتمد ذلك على عاملين: تطورات سياق الصراع على الميدان كما يحدث في غزة حالياً، وقدرة الإسلاميين على تحقيق خطوات نجاح أولية في تجربتهم في الحكم.

7. متطلبات المرحلة في المرحلة الانتقالية من قبل الحركة الوطنية والإسلاميين في نظم الحكم الجديدة:

لإخراج الملف الفلسطيني من جموده الحالي، وتفعيله لمواجهة الاحتلال على الصعيد السياسي والمقاوم لتفويت الفرصة على العدو بتهويد القدس، وتسريع الاستيطان، تحتاج المرحلة من قبل الحركة الوطنية الفلسطينية وحكومات الإسلاميين الجديدة التوافق على صيغة حالية لإدارة الصراع مع الصهاينة. وربما من الخطوات اللازمة لتحقيق ذلك ما يلي:

- إسراع قوى الحركة الوطنية للتوافق على خطوات جادة لتحقيق المصالحة وإنهاء الانقسام.
- تفعيل النظام السياسي الفلسطيني، وتحصين القرار الفلسطيني بإعادة بناء منظمة التحرير على قاعدة الشراكة والديموقراطية، وتصويب البرنامج السياسي للمنظمة.
- التوافق على استراتيجية فلسطينية موحدة، وبرنامج وطني واحد للمرحلة الحالية.
- تحويل السلطة كأداة فقط لإدارة الداخل الفلسطيني وتحريرها من ارتباطاتها السياسية والأمنية مع الكيان.
- التوافق مع الإسلاميين في نظمهم الجديدة على رؤية مشتركة لتحريك الملف الفلسطيني على صعيد المقاومة والعمل السياسي، وبالقدر الذي تتحمله هذه النظم الجديدة، ولكن في إطار رؤية متماسكة.

النتائج والتوصيات:

خلاصة:

لا شكّ أن صعود الإسلاميين يشكل تحولاً كبيراً، لأن نجاح تجربتهم في الحكم سيغير من شكل الفضاء الاستراتيجي بالمنطقة، مما سيفضي إلى بناء إقليم مستقل. وفي المحصلة سيضعف دور دولة الكيان الصهيوني وسيخفض من مكانتها في المنطقة.

تأثير صعود الإسلاميين على الداخل الفلسطيني سيكون كبيراً كذلك، لأنه سيعمل على تغيير خارطة علاقات القوى في الحركة الوطنية الفلسطينية. وفي الميدان بشكل مباشر سيضعف صعودهم خيار التسوية، وسيرفع من شأن خيار المقاومة في المستقبل. وفي المحصلة سيؤثر على المعادلة الفلسطينية الداخلية، وبالتالي على إدارة الصراع ومخرجاته.

الإسلاميون بحاجة لبناء دورهم وتعظيم تأثيره الاستراتيجي إلى تشكيل نظم سياسية تعددية تعتمد مفردات أساسية هي: الشراكة السياسية والتنمية البشرية والاقتصادية والممارسة الديموقراطية.

من متطلبات بناء الدور كذلك، مقاومة استراتيجية الترويض، والإفشال التي يواجههم بها الغرب، وصياغة رؤية متماسكة، وواضحة تجاه الصراع مع الدولة العبرية، في إطار خطاب قومي جامع.

توصيات:

أ . توصيات عامة:

- الإسلاميون بحاجة إلى بناء رؤية واستراتيجية متماسكتين تجاه الصراع مع الكيان الصهيوني في المديين القريب والبعيد، وبخاصة في المدى القريب، وتبني خطاب قومي جامع.
- الحركة الوطنية الفلسطينية مدعوة إلى تجاوز خلافاتها، من أجل التوحد على استراتيجية فلسطينية موحدة، وتتفق مع الإسلاميين في نظم الحكم الجديدة على استراتيجية مشتركة لإدارة الصراع.
- على الإسلاميين أن يستثمروا القضية الفلسطينية كرافعة في بناء التوحد الوطني والشراكة الراسخة، وكذلك في صياغة الخطاب القومي الجامع في المنطقة لإعادة الصراع إلى بعديه العربي والإسلامي.

- حالة الانتظار الفلسطينية قاتلة، فهي توفر فرصة استراتيجية للعدو لتهويد القدس وابتلاع الأرض في الضفة الغربية، لذا على حركتي فتح وحماس المسارعة لتحريك الملف الفلسطيني وإخراجه من انزوائه الحالي، ومطلوب من القاهرة أن تقدم مساعدة في ذلك، إذ إن نجاحها فيه يشكل لها رافعة إقليمية مهمة، وتعدّ خطوة مهمة في سياق استعادة مصر لدورها في المنطقة.
- ينبغي تفهم موقف الإسلاميين في المرحلة الانتقالية الحالية تجاه الصراع من قبل النخب والجماهير العربية. وفي المقابل على الإسلاميين عدم الإفراط في تطمين الغرب ودولة الكيان، ويحظر عليهم أن يدفعوا أثماناً سياسية من حساب القضية الفلسطينية من أجل تحييد العامل الخارجي لتدعيم تجربتهم في الحكم.
- من غير الطبيعي أن يستمر الحصار على غزة في ظلّ النظام المصري الجديد ما بعد الثورة، إذ المطلوب خطوات أكثر جرأة لكسر الحصار بخطى تدريجية لتحقيق الهدف النهائي.
- وضع القضية الفلسطينية في محور أي تفاهمات أو حوارات مع الغرب حول مستقبل المنطقة. وإعادة التوازن إلى الخطاب السياسي الغربي بتعميق وتكثيف السؤال عن موقفهم من حقوق الشعب الفلسطيني. وما يتبع ذلك من نشاط دبلوماسي لتوضيح موقف القوى الفلسطينية الممثلة للشعب.
- دعم قوى المقاومة الفلسطينية وتوفير الغطاء الشعبي والرسمي لعملها وتحركها في الشتات.
- المساعدة في إعادة رسم الخارطة السياسية الفلسطينية في إطار نظام سياسي تمثيلي حقيقي يعكس صورة المشهد الفلسطيني.

ب . توصيات بخصوص الخطاب السياسي للإسلاميين في الحكم تجاه الصراع:

الإسلاميون بحاجة إلى خطاب سياسي متوازن يعبر عن حجم المتغير، ويراعي مقدرات المرحلة ومعطياتها، ومن أبرز محدداته:

- انطلاق الخطاب السياسي من رؤية سياسية واضحة تجاه مفردات الصراع السياسي الأساسية، كالتسوية، والاتفاقيات الموقعة مع "إسرائيل"، والمقاومة، وغيرها.
- التعبير عن المواقف السياسية بشأن الصراع مع الكيان الصهيوني بلغة مرنة، لكنها واضحة وغير مبهمة، وتعبر عن الموقف الأساسي من المشروع الصهيوني.
- في مخاطبة الغرب التركيز على مبدأ العدالة الإنسانية، والتنبيه إلى الخرق الهائل تجاه مبدأ العدالة في قضية العلاقة بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني.

- الموازنة ما بين تطمين الشعوب على ثبات موقف الإسلاميين من القضية الفلسطينية، وطمأنة الغرب والكيان الصهيوني بشأن الاتفاقات في المرحلة الانتقالية الحالية.
- في الحوار مع الغرب، تعميق الإدراك أن الجانب الغربي يتعامل مع القوى الإسلامية حالياً كواقع قائم ينبغي التعامل معه، وبالاتكاء على هذا المعطى يستثمر كأداة قوة في مخاطبة الغرب، وعدم الانطلاق من قاعدة أن للغرب اليد العليا في التأثير على المشهد الإقليمي.
- الارتكاز في الخطاب على أن الإسلاميين مقبلون على دور مستقبلي في المنطقة سواء في فلسطين أو خارجها وبالذات في المديين المتوسط والبعيد، وبالتالي على الغرب إدراك مقدمات هذا التحول مبكراً للتعامل مع هذا التحول الأساسي للحفاظ على مصالحه.
- علاقات الدول والمعاهدات بينها تفرضها موازين القوى والمصالح القومية، وهي ليست دائمة والموقف منها تقرره مقتضيات الأمن القومي.
- التأكيد للغرب أنه ليس من المصلحة الضغط على الإسلاميين لصالح "إسرائيل" بمطالب تنزع عنهم شرعيتهم، لأن ذلك سيدفعهم لخيارات أكثر تصلباً، وبالتالي من المفيد ألاّ تُفرض على الإسلاميين مطالب ومقاسات الغرب الخاصة.
- للإسلاميين حقّ الفرصة في ممارسة تجربتهم وبلا اشتراطات ومطالب مسبقة.